

Contexts and Functions of *Dakhil Bastan* (Tying Votive Offerings) in the Qajar Era*

Hasan Zandiyeh¹ **Niloufar Mousavi²**

1. Associate Professor, Department of History, University of Tehran (**Corresponding Author**).
zandiyehh@ut.ac.ir

2. Ph.D. in Iranian History of the Islamic Period
Nmosavi11@gmail.com



Abstract

Tying votive offerings (*dakhil bastan*), as one of the customs and rituals of Iranian society during the Qajar period, was rooted in long-standing beliefs among people in various regions of the country and was practiced in diverse ways. Accordingly, the present study seeks to answer the question of in what contexts, and with what aims and functions, *dakhil bastan* was practiced in the Qajar era. Based on the findings of the research, the practice of tying votive offerings to trees, *saqqakhanes* (public water shrines), the shrines of the Imams and Imamzadehs (a shrine or tomb of a descendant of an Imam), and similar sites was widespread among people of all social classes during this period. Given its designation and meaning, *dakhil bastan* acquired a religious connotation and aimed at fulfilling needs and resolving difficulties by placing a blessed or sacred object as an intermediary

* Zandiyeh, H., Mousavi, N. (2025). Contexts and Functions of *Dakhil Bastan* (Tying Votive Offerings) in the Qajar Era, 5(2), pp. 83-113.

<https://doi.org/10.22081/ihc.2026.72447.1090>

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy

▣ **Received:** 2024/11/24 • **Revised:** 2025/01/06 • **Accepted:** 2025/02/11 • **Online publication:** 2025/06/10

© 2025

authors retain the copyright and full publishing rights



between supplicants and God. In this regard, in addition to the tombs of the Imams and Imamzadehs—which, due to their sanctity and blessed status from a religious perspective, were commonly visited for this purpose—certain trees, stones, and other objects, such as the *Top-e Morvarid* (Pearl Cannon), also attracted public attention for various reasons and became sites where votive offerings were tied. Employing a descriptive–analytical method and approaching the subject from the paradigm of superstition, the present study examines the practice of *dakhil bastan* in the Qajar era, exploring the reasons for and the manner of its historical emergence, transformation, origins, forms, aims, and functions within Qajar-period society.

Keywords

Iran; Qajar period; *dakhil bastan* (tying votive offerings); *saqqakhane*; tombs of the Imams and Imamzadehs; blessed objects.

٨٤
التاريخ والحضارة الإسلامية
مركز بحوث التاريخ

السنة السادسة، العدد ١، ١٤٤٧/٥/٢٦ م

«الدخيل»^۱ في العصر القاجاري «السياقات والوظائف»*

حسن زنديه^۱ نيلوفر موسوي^۲

۱. أستاذ مشارك في قسم التاريخ جامعة طهران (الكاتب المسؤول).

zandiyehh@ut.ac.ir

۲. دكتورة في تاريخ إيران الإسلامي.

Nmosavi1@gmail.com



۸۵
 التلخ والحضارة الإسلامية
 رؤية معاصرة

الدخيل في العصر القاجاري: «السياقات والوظائف»

الملخص

"الدخيل" (وهو تقليد متبع في المجتمع الإيراني العصر القاجاري) من المعتقدات القديمة لدى سكان مختلف مناطق البلاد، وكان يُمارس بطرق متنوعة. تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال التالي: في أي سياق كان تقليد الدخيل يُمارس في العصر القاجاري، وماذا كانت أهدافه ووظائفه؟ استناداً إلى معطيات البحث، كان شائعاً بين الناس من جميع الطبقات في تلك الفترة شدّ "الدخيل" على الأشجار، والسقّاخانات (أكشاك توزيع المياه)، وأضرحة قبور الأئمة والأولياء وما شابه ذلك. وبالنظر إلى اسم "الدخيل" وعنوانه، اكتسب هذا العمل مفهوماً

۱. الدخيل (بالفارسية: دخيل بستن): كلمة "دخيل" من أصل "دخل" أي "الإدخال أو الإضافة". وفي الاصطلاح الديني والثقافي تعني تعليق أو ربط قطعة قماش أو خيط أو شيء صغير بالضريح أو المكان المقدّس، كرمز للتوسل والاعتصام بصاحب ذلك المقام. فـ "الدخيل" إذن يرمز إلى الارتباط القلبي للزائر بصاحب الحرم ورجائه في الشفاعة وقضاء الحاجة. (المترجم)

* زنديه، حسن؛ موسوي، نيلوفر. (۲۰۲۵م). الدخيل في العصر القاجاري؛ «السياقات والوظائف». التاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، ۵(۳)، صص ۸۳-۱۱۳.

<https://doi.org/10.22081/ihc.2026.72447.1090>

© المؤلفون * نوع المقالة: مقالة بحثية * الناشر: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية.

□ تاريخ الإستلام: ۲۰۲۴/۱۱/۲۴ • تاريخ التعديل: ۲۰۲۵/۰۱/۰۶ • تاريخ القبول: ۲۰۲۵/۰۲/۱۱ • تاريخ الإصدار: ۲۰۲۵/۰۶/۱۰



دينياً، وكان الغرض منه قضاء الحوائج وتلبية المطالب عبر جعل الشيء المبارك أو المقدّس وسيطاً بين أصحاب الحاجات وربهم. بالإضافة إلى مرآة الأئمة والأولياء التي كانت مزارات يؤمّها الناس عند ممارسة تقليد "الدخيل" بسبب قدسيّتها وبركتها من المنظور الديني؛ كانت بعض الأشجار والأحجار والأجسام الأخرى مثل "مدفع مرواريد" محط اهتمام الناس لأسباب مختلفة، ويتم ممارسة "الدخيل" عليها. تهدف الدراسة الحالية، دراسة وفحص ممارسة "الدخيل" في العصر القاجاري، وأسبابها وكيفية نشأتها وتطورها وخلفيتها وأشكالها وأهدافها ووظائفها في مجتمع تلك الفترة وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي ومن زاوية نموذج "الخرافات".

الكلمات المفتاحية

إيران، القاجاريون، الدخيل، السقاخانة، قبور الأئمة والأولياء، التبرك.

١. المقدمة

دفع سعي الإنسان لتحقيق الصحة والأمن والسكينة عبر التاريخ إلى الانخراط في أعمال مختلفة؛ ويُعد الميل نحو المعتقدات الخرافية نتيجة لعدم الوعي بأسباب الوقائع والحوادث، أحد أهم القضايا التي واجهت البشرية منذ القدم، فحتى في القرون الحالية ما تزال الخرافات منتشرة وسائدة، بالرغم من التطور المذهل للعلوم والمعارف مثل الطب والفلك وما إلى ذلك التي أجابت على بعض أسئلة البشر الأساسية. إن البحث عن مرساة لتحقيق السكينة هو سبب مهم لظهور هذه المسألة. وفي هذا الصدد، يُعد تقليد "الدَّخِيل" على الأشجار والأشياء الأخرى أحد تجليات الأفكار الخرافية التي كان يلجأ إليها الناس في العصر القاجاري عند ظهور الأمراض، والكوارث، والمشاكل، والعجز، والخوف، والقلق، والحيرة. إن دراسة هذه القضية كإحدى التقاليد والعادات التي كان عليها مجتمع تلك الحقبة وجزء من تاريخ إيران الاجتماعي والثقافي، أمر ضروري. يمثّل هدف الدراسة الحالية في فحص ودراسة ممارسة "الدَّخِيل" في الفترة القاجارية، ثم تحليل أشكالها وأهدافها في تلك الفترة.

في هذه الدراسة، يتم التركيز على نشأة هذه الممارسة وأصلها وتطورها في مجتمع العصر القاجاري، وذلك في سياق دراسة الأسس التاريخية لتشكّلها، وأسبابها وطبيعة التوجهات التي اكتسبتها خلال مسيرة تطورها التاريخية، والتعرّف إلى عملية إنتاج حقيقة تسمى "الدَّخِيل" وتحويلها إلى أمر معرفي وعام وبديهي.

فيما يتعلق بموضوع البحث الحالي، لم يتم إنجاز عمل فريد وشامل حتى الآن؛ حيث لا نجد سوى إشارات مقتضبة في أعمال مثل "تاريخ طهران الاجتماعي في القرن الثالث عشر" لجعفر شهري (١٣٦٨ هـ.ش) ومقال "سقّاخانات أصفهان" لأعظم أتيابي (١٣٨٣ هـ.ش) حول "الدَّخِيل" على السقّاخانات في

طهران، وأسباب ربط التمايم بها، وما شابه ذلك. بالإضافة إلى ذلك، ذُكر "الدَّخِيل" وأسبابه وعوامله بشكل موجز في مجموعة مقالات بعنوان "التبرُّك".

٢. نموذج الخرافات

٢-١. أسس انتشار الخرافات في مجتمع العصر القاجاري

بناءً على الدراسات التي أُجريت، يميل الإنسان نحو التقاليد سعياً للوصول إلى السكينة والأمن النفسي في مواجهة مشاكل الحياة ومصاعبها. وفي هذا السياق، تتمتع الطقوس والمناسك الدينية بقدرة أكبر من غيرها من التقاليد. وفي خضم ذلك، في إيران في العصر القاجاري حيث تداخلت التقاليد مع الدين، كان الميل إليها يمنح الناس شعوراً أكبر بالأمان؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم بذلك قد لجأوا إلى المذهب والدين. ويُقال أنّ التقاليد والأعراف في المجتمعات التقليدية هي، في الواقع، التي لها كلمة الفصل. (علي زاده، ١٣٨٧ش، ص ١٥٠).

من ناحية أخرى، أدى الافتقار إلى المعرفة ومحو الأمية إلى تشكل بعض الأفكار الخرافية في المجتمعات التقليدية؛ حيث اختلطت الخرافات تدريجياً بالمعتقدات الدينية واتخذت شكل الطقوس الدينية. لقد شوهد تشكل الخرافات في المجتمعات التقليدية والدينية منذ زمن طويل وفي جميع المجتمعات. وعلى الرغم من أن البدايات الأولى لنفوذ الخرافات في المعتقدات الدينية ورسوخها تعود إلى ما قبل العصر القاجاري؛ إلا أنها في المرحلة المذكورة قد اشتدت وتوسّعت بسبب وجود بعض الظروف والمشاكل. لقد كانت عوامل مهمة مثل الضغوط الاجتماعية، والخوف، وانعدام الأمن، والحتمية (القدرية)، والأمية، والجهل، من العوامل التي أدت إلى انتشار نفوذ الخرافات في الدين خلال مرحلة الحكم القاجاري. وبشكل عام، فإن القلق والعجز من الأسباب المؤثرة التي تدفع الفرد نحو الأفكار الخرافية وما وراء الطبيعة. ففي الظروف التي يشعر

فيها الناس بالعجز والضعف أمام المشاكل والكوارث، يميلون نحو انحرافات لتخفيف آلامهم (هدايت، ١٣٨١ ش، ٢٢).

كانت حياة الناس في العصر القاجاري تنوء بثقل انعدام الأمن والعدالة الاجتماعية، بالإضافة إلى المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما أحاط القلق والهَمّ بالمجتمع من كل صوب. وكان الناس يتعرضون باستمرار للظلم والاضطهاد والإجحاف من قِبَل الحكام والولاة، ويزداد حجم الضغط عليهم يوماً بعد يوم. أضف إلى أنّ الفوارق الطبقيّة الشاسعة التي سادت المجتمع، وكذلك، التمييز ضد المرأة، عاملاً آخر لخلق الخوف والتوتر في المجتمع. كانت النساء، اللاتي يشكلن نصف المجتمع ومُربيات الأجيال، يعشن في ظل ظروف نفسية واجتماعية غير مناسبة؛ وكان لهذا الأمر دور في خلق إجهاد وقلق إضافي في المجتمع. وفي خضم ذلك، وبسبب غياب العدالة الاجتماعية وعدم وجود ملجأ ومأوى للنساء، كن يلجأن قسراً إلى انحرافات، التي ازدادت وطأتها يوماً بعد يوم. آخوندزاده، وهو أحد المفكرين والمجددين في العصر القاجاري، يرى أن السلوكيات غير اللائقة والمفاسد الأخلاقية للرجال هي سبب لجوء النساء إلى انحرافات. ووفقاً لرأيه، كان تعدد الزوجات، وهو أمر شائع جداً ومألوف في تلك الفترة، السبب الرئيسي لهذه المشاكل؛ ولذلك انتقد هذا القانون بشدة وطالب بمنعه (آخوندزاده، بدون تاريخ، ص ٩٤).

وهكذا، فإن المشاكل الاجتماعية المذكورة أعلاه، والتي لم تكن الحكومة توليها اهتماماً، بل كانت أحياناً تُفاقمها بتصرفاتها الخاطئة، كانت عاملاً مهماً في سير مختلف شرائح المجتمع نحو انحرافات. بالطبع، لا ينبغي إغفال حقيقة أن الميل نحو انحرافات كان منتشرًا تقريباً بنفس القدر بين النساء والرجال بشكل عام؛ لكنّ النساء بطبيعة الحال يلعبن دوراً مهماً في تربية وتنشئة الأبناء، وبالتالي لهن تأثير كبير في نسج التحولات الثقافية والاجتماعية للمجتمع. كان عدم وجود الوعي وتجاهل العلم والمعرفة عاملاً مهماً آخر في انتشار انحرافات في مجتمع

تلك الفترة. كانت غالبية المجتمع تتكون من كحلة جاهلة وغير واعية، لم تكن قادرة على فهم السبب الحقيقي للأحداث عند مواجهة الكوارث والمصائب؛ ولذلك، كانت تميل نحو الخرافات؛ لأنها كانت تربط عامل الحوادث والوقائع بأمر خارقة، والجن، والشياطين. في الواقع، كلما عجز الإنسان عن إدراك حقائق الحوادث الطبيعية، ازداد وقوعه في المعتقدات الواهية والخرافات. يميل الإنسان نحو السحر عندما لا يستطيع السيطرة على ظروف الحياة وأحداثها من خلال المعرفة (جاهودا، ١٣٧١ش، ص ٢١٨). في هذا السياق، وفي مجتمع يعتبر محو الأمية بلا قيمة ولا يجد ضرورة لتعلم القراءة والكتابة والعلم للذكور، ومن ناحية أخرى، كان التعليم بالنسبة للفتيات يعدّ أمراً مشيناً، أقول في خضم هذه الظروف تشكل مجتمع ضعيف ذو ثقافة متدنية، مما أوجد أرضية مناسبة لتطور الخرافات.

علاوة على ذلك، كان الاستبداد المطلق عاملاً آخر في ضعف ثقافة المجتمع المذكور وتوجه المجتمع الواسع نحو الخرافات الدينية وغير الدينية. في هذه الفترة، حكم الملوك القاجاريين بأقصى درجات الاستبداد ولم يسمحوا بدخول أي فكر جديد إلى المجتمع. وأدى هذا الوضع إلى عدم وجود إمكانية لإجراء إصلاحات في المجتمع. وبلغ الاستبداد ذروته في العصر القاجاري خلال فترة حكم ناصر الدين شاه. لقد قاوم أي فكر جديد من شأنه أن يعرض سلطته للخطر، وقام بقتل وإقصاء كل من فكر في تقدم البلاد وتطورها. حتى إنه كان يعمل على إضعاف وإزاحة أي وزير من وزرائه فوراً بمجرد أن يشعر أنه وصل إلى حد معين من السلطة ويصبح مؤسساً للأعمال العامة والإيجابية (الكرماني، ١٣٥٧ش، ص ١٢٧). بالنظر إلى أن أكبر قدر ممكن من الخرافات تسلل إلى مجال الشعائر والمناسك الدينية في العصر الناصري، يمكننا أن نستنتج إذاً بأن الاستبداد الجامح في ذلك الوقت كان عاملاً آخر في تقوية الخرافات وضعف ثقافة المجتمع. كما كانت القدرية (الاعتقاد بالجبر) عاملاً مهماً آخر في شيوع الخرافات.

فالقدرية تمنع الحركة والنشاط في المجتمع وتعيق نمو العقل. وقد تحدّث الرحالة الذين زاروا إيران في العصر القاجاري عن عقيدة الناس بالجبر (سيرنا، ١٣٦٢ش، ص ٩٠). بالإضافة إلى وقوع العديد من الكوارث الطبيعية المتعددة مثل الفيضانات والزلازل والأمراض المعدية مثل الكوليرا والطاعون والتيفوئيد لتضفي عاملاً آخر في تعزيز الجبرية والقدرية. وبما أن هذه الحوادث كانت تقع في نظر الناس بطريقة غير طبيعية، وعجزت قدرات وعقول الناس عن إدراك سببها؛ اعتقد الناس أن هذه البلايا والمصائب قضاءً وقدرًا وأنه لا مفر لهم من المشاكل، وعليهم بالضرورة الاستسلام لها وتقبّلها.

٢-٢. المفكرون والتحليل النقدي للخرافات في المجتمع القاجاري

تجدر الإشارة إلى أن العديد من مفكري ذلك العصر كانوا يعارضون الأفكار الخرافية والمخالفة للعقل، مثل (الدخيل). كان آخوندزاده من المفكرين والمجددين الإيرانيين في عهد ناصر الدين شاه. وقد كتب أعمالاً بهدف توعية الناس بالوضع المتردي للبلاد، وكذلك لتمهيد الطريق لإصلاح الأوضاع ومحاربة الخرافات المضلّة (آدميت، ١٣٤٩ش، صص ٤٣، ٥٠، ١٨٤). وقد اعتبر الخرافات السبب الرئيسي لبؤس الإيرانيين، ووصف معتقدات مثل الإيمان بقدرية الأجسام والأشياء والأشجار، والحوارق، والمعجزات، والسحر والشعوذة وما إلى ذلك بأنها غير علمية وكاذبة، وعدّ الاعتقاد بها ناتجاً عن جهل الناس وغفلتهم. كان يعارض بشدة المعتقدات الخرافية، واتّهم الحكومة بأنها السبب الرئيسي لانتشار مثل هذه المعتقدات في المجتمع (آخوند زاده، بدون تاريخ، ص ٩٤). وكان يسعى باستمرار للتوعية وإظهار التناقض بين العلم والخرافات، وكان يقول إنه إذا لم يكن لدى الإنسان تصور علمي وعميق حول ظواهر الطبيعة، فإن الإيمان بالخرافات والمعجزات والمعتقدات الباطلة والواهية سوف نتعزّز وترسخ. لذلك، يجب تنوير الناس بأنّ الظواهر الطبيعية في العالم المادي خاضعة للقوانين من

خلال تعلم العلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء وما إلى ذلك، وتحرير الناس من أسر الخرافات (آخوندزاده، ٢٥٣٧ش، صص ١٠-١١). وكان آخوندزاده يعتقد أنه يمكن نحو الخرافات من المجتمع وثقافة الناس من خلال التعليم الإلزامي (آدميت، ١٣٥٦ش، ص ١٨٠).

السيد جمال الدين أسد آبادي، هو الذي طرح حركة "العودة إلى الذات" في العالم الإسلامي، كان ناقداً آخر لوجود الخرافات في المجتمع. وقد وصف دخول الخرافات في فكر المسلمين بأنه من آلام المجتمعات الإسلامية. وفي رأيه، كان يتم تأجيج الخرافات من قبل المستعمرين والسلطين غير الأكفاء في ذلك الزمان، بهدف الحفاظ على مكائهم وسيطرتهم على الأمور. كان الأسد آبادي يرى أن دخول الخرافات والتفسيرات الخاطئة في قضايا مهمة مثل القضاء والقدر وغيرها، والتي هي من أصلب وأكثر الأفكار الإسلامية تطبيقاً، يؤدي إلى ضعف المسلمين (أسد آبادي، ١٣٧٩ش، ص ١٣٦).

أما الشيخ هادي نجم آبادي، وهو من العلماء البارزين في تلك الفترة، فكان أيضاً من منتقدي نفوذ الأفكار الخرافية إلى المجتمع وإلى الدين أيضاً. وكان يرى أن السبب الرئيسي لدخول الخرافات وسيطرتها على أذهان الناس هو في المقام الأول الوعاظ وبعض رجال الدين. وبحسب قوله، نظراً لعدم السماح للناس بطرح الأسئلة والأجوبة في المسائل الدينية، كان الناس يلجأون إلى الخرافات بحثاً عن إجابات لأسئلتهم بسبب جهلهم. كما اعتبر التقليد الأعمى للسلف وإقامة الحكم الاستبدادي في المجتمع سبباً مهماً آخر لانتشار الخرافات في المجتمع (نجم آبادي، ١٣٣٦ش، ص ١٨).

كان طالبوف من بين منتقدي العضلات الاجتماعية في العصر المذكور. فمن خلال رسم صورة للمغالطات والخرافات في مقابل العقل والعلم، اعتبرها أساس وبنیان الحكومة والمجتمع في إيران، وعزا بشكل عام جهل الملوك ورجال إيران إلى جهل الشعب (طالبوف، ١٣٥٦ش، صص ١٢٣-١٢٥). وتحدث طالبوف عن

ظاهرة تسمى "الفقر الروحي" فيما يتعلق بخصائص وسمات المجتمع الإيراني في العهد القاجاري. وقد عرّف طالبوف الفقر الروحي بأنه من مصائب المجتمع، ورأى أنه سبب استمرار الوضع القائم. وفي هذا المفهوم، تناول طالبوف قضايا مثل القدرية (الاعتقاد بالقدر)، والجهل، والجبرية، وعدم الإيمان بسيادة الإنسان على مصيره، وعدم الاكتراث بالضمير، وغيرها من الأمور التي كانت جزءاً من فكر وثقافة مجتمع تلك الفترة. وفي تحليل طالبوف لمفهوم الفقر الروحي، تدرج جميع الجوانب السلبية للثقافة والفكر العام تحت مظلة هذا المفهوم. واعتبر طالبوف الفقر الروحي، بوجوهه المختلفة، أهم عائق أمام تقدم وري إيران في ذلك العصر (قيصري، ١٣٨٨ش، ص ٣٢٦).

٣. الدخيل

لظالما كان الاعتقاد بقدسية الأماكن والبقاع المختلفة، سواء كانت دينية أم غير دينية، حاضراً في أنحاء إيران. هذا الاعتقاد لا يقتصر على إيران والدين الإسلامي فحسب؛ بل شوهدت مثل هذه الأدلة في ثقافات وأديان الشرق والغرب المختلفة.

إن تقليد "الدخيل" هو أحد أشكال تقديس الأماكن والأشياء. وتتحدث مصادر العصر القاجاري وما قبله عن ممارسة "الدخيل" للأشجار، والمشاهد الدينية (الأولياء)، وأماكن السقاية (السقاخانه)، وغيرها من المباني والأماكن. وكان "الدخيل" للأشياء والأماكن بمعنى الالتجاء إليها واتخاذ تلك الأشياء وسيطاً لقضاء الحوائج ونيل المقاصد والأمان، وبشكل عام لحل المشكلات. ويعرّف "الدخيل" لغة بأنه ربط شيء ما، مثل قطعة قماش أو خيط أو ما شابه ذلك، بالضريح أو القبر أو البقعة الخاصة بالأعيان والأئمة والأولياء، أو أي شيء آخر يحظى بقدسية لدى الناس (دهخدا وآخرون، ١٣٧١ش، ص ١٠٥). وفي بعض الحالات، كان "الدخيل" يُمارس عن طريق إدخال مسمار أو حصاة صغيرة في

إن ممارسة "الدخيل" وتعليق القناديل، لها جذور عريقة، وكانت من أنقى مظاهر حياة البسطاء والعوام. هذا الفعل في الواقع متجذر في المعتقدات الدينية للناس والتوسل إلى الله. كان الناس يعتقدون أنه يمكن قضاء حوائجهم بالالتجاء إلى الأماكن المقدسة. فعندما كانوا يستأوون من وضعهم أو حالتهم وتكون لديهم أمنية أو حاجة، كانوا يبحثون عن مقام أو شخص أو حتى شيء يمكنهم أن يطلبوا حاجتهم منه. وبما أن الدين كان دائماً يحتل مكانة مهمة في المجتمعات، كان الناس يلجأون إلى الدين ومعبودهم عند مواجهة المشاكل. لذلك، منذ القدم، تحولت المعابد، وأماكن العبادة، والمقابر إلى أماكن للنجوى والاستغاثة بالساحة الإلهية (مصطفوي، 1361ش، ج1، ص11).

تجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى قبور الأئمة والأولياء التي تحولت إلى أماكن لممارسة "الدخيل" بسبب حرمتها وقدسيتها الدينية لدى الناس؛ حظيت أماكن أخرى بالاهتمام لممارسة هذا التقليد مثل الأشجار، والأحجار، وقبور المقابر المهجورة، وحتى "مدفع مرواريد" في طهران (ذاكرزاده، 1373ش، صص 260-262). وعادة ما كان يتم اختيار هذه الأماكن على أساس الأحلام والرؤى. ففي بعض الأحيان، كان الأشخاص يرون في المنام شخصاً مقدساً بجوار شجرة أو حجر أو غيره، أو كانت الرؤيا تدلهم على علامة أو سمة تشير إلى قدسية ذلك الشيء وبركته؛ لهذا السبب، سرعان ما كان ذلك المكان يتحول إلى موقع لممارسة "الدخيل" وطلب الحوائج من قبل الناس. ورغم أن ممارسة "الدخيل" تحمل جانباً دينياً، حيث يحاول الفرد من خلالها جعل الشجرة أو الأماكن المقدسة وسيطاً بينه وبين الله طلباً لحاجته ومطلوبه، إلا أنها لم تحظ قط بالتأييد من المنظور الديني (سبحاني وآخرون، 1393ش، ص109).

كما ذكر سابقاً، فإن ممارسة "الدخيل" بأشكالها وأنواعها المختلفة شوهت منذ القدم بين جميع الثقافات والحضارات. على الرغم من أن أشكالها كانت تختلف بلا شك من مكان لآخر. وهناك أدلة على وجود هذه العادة في فترة الجاهلية في شبه الجزيرة العربية، بل ويقال إن العرب بعد اعتناقهم الإسلام، كانوا يميلون إلى مواصلة هذه العادة؛ لكن الإسلام عارضها. ففي غزوة حنين، وقبل بدء القتال، قامت مجموعة من المشركين، بهدف طلب المساعدة والنصر على جيش الإسلام، بربط وتعليق ملابسهم وأسلحتهم بشجرة قريبة من هناك؛ وبالمقابل، بدأ المسلمون أيضاً بمحاولة ممارسة "الدخيل" طلباً للطف الإلهي والنصر على المشركين؛ إلا أن النبي ﷺ نهاهم بشدة عن هذا الفعل، واعتبر هذا السلوك، من خلال تلاوة الآية ١٣٨ من سورة الأعراف،^١ مشابهاً لسلوك قوم بني إسرائيل الذين طلبوا بجعل إله لهم شبيه بالصنم لعبادته، وعارضه (الآلوسي، ١٤١٥هـ، ج ٥، ص ٤١).

في العهد الصفوي أيضاً، كانت هناك شجرة كبيرة في قزوین أعتقد الناس بأن التوسل بها وشدّ الدخيل بها يشفي الآلام، وخاصة ألم الأسنان؛ ولهذا السبب، كانوا عند ألم الأسنان أو الحمى أو الأمراض الأخرى، يذهبون إلى جانب الشجرة ويغرسون مسماراً أو حجراً صغيراً في جذعها (Masse, 1983, pp. 219-220).

كما هو ملاحظ، فإن ممارسة "الدخيل" لها تاريخ قديم في المجتمع الإسلامي وإيران. لقد وجد مثل هذا التقليد في مجتمع المسلمين في صدر الإسلام، على الرغم من أن النبي ﷺ قد نهى عنه؛ ولكن هناك أدلة على استمراره وبقائه في

١. «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ».

الثقافة الإيرانية الإسلامية منذ العصر الصفوي. ومن المحتمل أيضاً أن يكون هذا التقليد موجوداً بين المسلمين الإيرانيين قبله أيضاً، حيث كانوا يلجأون إليه عند وقوع المشاكل. ووجود هذا التقليد بين غير المسلمين المقيمين في إيران يشير إلى انتشار هذا التقليد بين جميع طبقات وفئات المجتمع.

٤. الدخيل في العصر القاجاري

في مصادر العصر القاجاري، توجد إشارات حول اعتقاد الناس بقداسة بعض الأماكن والأشجار. ففي هذه الفترة، كانت أنواع مختلفة من الأماكن والأشياء، مثل المساجد، والسقاخانات (أكشاك توزيع الماء)، والقبور، وأبواب ونوافذ أضرحة الأولياء، وكذلك الأشجار المختلفة في الغابات والصحاري، والأشجار الموجودة في ساحات المساجد والأضرحة، والأشجار الواقعة على طرق ودروب الاتصال (تشريكوف، ١٣٥٨ش، ص ١٩)، وتجمعات الصخور، وقمم الجبال والأماكن المماثلة، تُعتبر مقدسة في نظر الناس، ويتم ممارسة "الدخيل" عليها. وكان التوسل بالقبور القديمة في إيران أيضاً نوعاً آخر من "الدخيل" لدى الإيرانيين في ذلك العصر. وقد تحدث بروغش وكذلك ديولافوا، أثناء رحلتهما إلى إيران، عن توسل أهالي فارس بقبر كورش، الذي كان يُعرف باسم قبر أم سليمان (بروغش، ١٣٦٧ش، ج ٢، ص ٤٨٩؛ جان، ١٣٦١ش، ص ٣٦٥). كما ذكر پولاك أن الناس في إيران كانوا يتوسلون ببعض الأشجار، وخاصة تلك "المنظور إليها" (أي التي كانت تحظى بنظرة لطف خاصة) حسب تعبيرهم (إدوارد پولاك، ١٣٦١ش، ص ٢٣٨).

بحسب الباحث شهري، كان أهالي طهران القديمة يتوسلون بكل شيء يرتبط في نظرهم بالمقدسات. ومن بين هذه الأشياء، كان حتى ترباس باب الزورخانه [صالة الألعاب الرياضية التراثية] مكاناً للتوسل والدخيل. بالإضافة إلى ذلك، كان "مدفع مرواريد" في ساحة أرگ بطهران من بين الأشياء التي كان يتم

التوسل بها (شهري، ١٣٨٣ش، ج١، ص ١٧٠). هذا المدفع العسكري الكبير، الذي كانت تتدلى من فوهته عدة سلاسل من اللؤلؤ، كان موضوعاً على قاعدة مبلطة بارتفاع متر واحد، وكانت تنتشر حوله خرافات كثيرة. كان يتجمع حوله عدد من النساء والفتيات لطلب الحوائج وتيسير الزواج، وخاصة في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وليالي القدر وليالي "الأربعاء الأحمر" (شهري، ١٣٨٣: ٣٥٤/١).

تروي وئس الدولة، وصيفة حرم ناصر الدين شاه، طقس تيسير الزواج بممارسة الدخيل إلى "مدفع مرواريد" في ليلة "الأربعاء الأحمر" كما يلي:

"أما فك عقدة الزواج ليلة الأربعاء الأحمر فكان يختلف عن هذه الأمور. فإذا نزل الحجر من السماء بدلاً من الثلج والمطر، كانت الفتيات غير المتزوجات يجتمعن منذ عصر يوم الثلاثاء الأخير من العام مع أمهاتهن وخالاتهن وأقاربهن حول ذلك التل. كنّ يعطين النقود والحلويات وقطعة السكر الصلبة الكبيرة للجنود، والجندي الحارس كان يفتح الباب الحديدي، وتصعد الفتاة التي تعسر زواجها بمساعدة إحدى النساء المرافقات لها، وهي متنكرة بـ "الجادر" و"الجاقور" (أغطية الجسم التقليدية) والنقاب، وتعتلي "مدفع مرواريد" وتقول ثلاث مرات: «يا قريب الفرج!». بعد ذلك، تنزل من فوق المدفع، ويأتي دور الأخريات. وأحياناً، كان الأمر يستمر هكذا، حيث تتوالى الفتيات في الصعود على "مدفع مرواريد" والنزول منه لفترة بعد غروب الشمس. وفي العام التالي، إذا استجاب المدفع لحاجتهن، كنّ يشعلن باقة من الشموع حول المدفع كله. وفي بعض الأوقات، كانت الفتيات اللاتي اقترب زواجهن يقمن بتمزيق قطعة صغيرة على

١. الأربعاء الأحمر (بالفارسية: چهارشنبه سوري)، هو مهرجان تقليدي إيراني لوداع آخر شمس في السنة الفارسية يقام في آخر أربعاء من السنة الفارسية. ويعود مصدر كلمة "سوري" إلى اللغة الفارسية القديمة ويحمل معاني عدة أهمها الاحتفال والأحمر المتوهج.

شكل شريط من طرف غطاء الرأس الخالص بهن، ويعقدنها كـ "دخيل" بعجلات المدفع." (مذكرات مؤسس الدولة، ١٣٨٠ش، ص ١١٢).

أشار إدوارد بيت في كتابه "سفرنامه خراسان و سيستان" إلى ممارسة "الدخيل" لدى أهالي مشهد تجاه الأسد الحجري قائلاً:

"في مشهد، تنتشر الخرافات بشكل كبير. لقد شاهدتُ أماكن قليلة جداً يكون فيها للمفاهيم الوهمية هذا القدر من القبول بين أهلها، وخاصة نساءها. سأنتقل هنا إحدى العادات التي شهدت وقوعها بنفسي عدة مرات. بالقرب من بوابة "سراب" يوجد أسد حجري، وقد تكسر منه جزء أيضاً. وفي كل مرة كنتُ أمراً من جانبه، كنتُ أرى مجموعة من النساء يحطن به، وامرأة جالسة في وسطهن على الأسد. يقولون إن هذا الأسد بناه نحات قبل حوالي ١٥٠ عاماً، وأنه هو نفسه مدفون الآن تحته. في الواقع، يشكّل هذا الأسد الحجري قبره. على أي حال، لا يزال هذا الأسد موضوعاً على جانب الطريق، وتأتي إليه النساء العاقرات أو اللاتي لديهن آمال أخرى من مسافات بعيدة وقرية لقضاء حوائجهن. ويبدو أن الأسد يفعل شيئاً لأجلهن. يمكن استنتاج ذلك من كثرة النساء اللاتي يأتين لزيارته بشوق. تجلس المرأة على الأسد، وفيما هي تتلو أوراداً وتتحرك، تعقد ٤٠ عقدة بخيط أو حبل بيدها، ثم تنتهي المراسم" (بيت، ١٣٦٥ش، ص ٣١٠).

بشكل عام، كانت أنواع من الأماكن والأشياء هي موضع التوسل. فقد بدت لعيون الناس مقدسة وجوه وأبواب المساجد والتكيات (الحسينيات)، وأضرحة الأئمة والأولياء والسادة الأشراف، والمشايخ، والصوفيين، ومقامات الزيارة، والنوافذ المعدنية للسقاخانات، وعلم ونخل الغزاء، ويتم ممارسة "الدخيل" عليها (شهري، ١٣٨٣ش، ج ٢، ص ٤٣٠).

بولاك، الذي عاش لسنوات في إيران خلال العصر القاجاري، يتحدث في

كتابه عن عقيدة الإيرانيين في "الدخيل" قائلاً:

"إحدى العادات الشائعة في جميع أنحاء الشرق هي أن الناس يقومون بتثبيت أو تعليق قطع صغيرة من الملابس كـ 'دخيل' (نذر أو توسل) على بعض المساجد، أو الأشجار، أو أكوام الحجارة، أو على قمم الجبال. في طهران، بالقرب من بوابة شميران، توجد بقعة (مقام أو ضريح) تغطي نوافذها وسياجها بألاف القطع من القماش القديم والمتهرئ. وفي جبل يقع على طريق نبع "آب گرم" القريب من دماوند، توجد شجرة عرعر ضخمة لا يمتنع أي عابر عن تعليق قطعة من ملابسه عليها. إن بقاء هذه الشجرة واستمرارها هو ما أكسبها شهرة القداسة. وبسبب غياب الأشجار في بعض الأماكن، كان كل مسافر يحمل حجراً معه؛ ومع مرور الزمن، كان يُبنى هرم، وفي كنفه تنمو شجرة، ويُعلق عليها "دخيل" مرة أخرى" (بولاك، ١٣٦٨ ش، ص ٢٣٩).

كانت ممارسة "الدخيل" تتم لأغراض ونيات عديدة ومتنوعة؛ حيث كان الناس يقدمون عليها طلباً لشفاء المريض، أو فك عقدة الزواج، أو التمني بالإنجاب والذرية، وقضاء حاجات مختلفة، وبشكل عام لتحقيق الأمان. وبالطبع، كانت ممارسة هذا التقليد تقتصر بتقديم النذور إلى جانب ربط "الدخيل" (جوادي يگانه وزادقناد، ١٣٩٤ ش، ص ٤١).

بالإضافة إلى ذلك، ووفقاً لجيمس مورير، لم تقتصر ممارسة "الدخيل" في العصر القاجاري على المسلمين فقط؛ بل كان المسيحيون الأرمن أيضاً يذهبون إلى الكنائس في أيام معينة من العام ويعلقون هدايا من نوع الحبال والعصي وما شابهها على مذبح الكنيسة (مورير، ١٣٧٨ ش، ج ٢، ص ٣٧٩).

وهكذا كان عمل ربط الدخيل مسألة عامة منتشرة بين جميع طبقات المجتمع في العصر القاجاري. فقد آمن به جميع فئات المجتمع من النخب الأرستقراطية والطبقات الدنيا، وسكان القرى والمدن، وكذلك غير المسلمين، وكانوا يلجأون إلى هذا العمل في أوقات الشدائد والأمراض والمشاكل. وقد لعب التاريخ القديم

لهذه المسألة، رغم رفضها من منظور الإسلام والرسول ﷺ، دوراً أساسياً في تعميم هذا الموضوع.

٤-١. ممارسة الدخيل عند أضرحة الأئمة

كانت أضرحة الأئمة والأولياء من أهم أماكن ممارسة "ربط الدخيل". فعادةً ما كان الناس يربطون الدخيل عند هذه الأضرحة لحل المشكلات بالغة الصعوبة، حيث كانت تُعتبر الملاذ الأخير لإنقاذهم من مصاعبهم ومشاكلهم. وكانت دوافع ومطالب هذه النذور متنوعة للغاية، تتراوح بين طلب الشفاء من المرض، وإثبات البراءة، وإنقاذ الأرواح، وغير ذلك. وكانت هذه الممارسة تتم بأشكال مختلفة؛ أحياناً كان يُلقى خطاب أو عريضة توصل داخل الضريح على

١٠٠
التلخيص والحضانة الإسلامية
مؤسسة محمد بن عبد الوهاب

سبيل "الدخيل"، كما ورد في هذا النص:

"... وَأَقْسَمُ بِجَدِّكَ رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَنهَكُنِي هَذَا الْمَرَضُ وَذَلَنِي وَأَصْبَحْتُ بِأَسَا مَعْدُومًا. قَدْ تَبْتُ وَنَدَمْتُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ ارْتَكَبْتَهُ. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟ اِرْحَمْنِي وَعَالَجْ أَلْمِي، فَإِنَّا مُتَقَدِّمٌ بِنُذُورِي لَكَ... وَأَنَا مَعُوزٌ وَلَا أَجِدُ مَالًا، وَلَمْ أَعِدْ أَسْتَطِيعُ الْحِيلَةَ. لَا مَلْجَأَ لِي سِوَاكَ، يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، فَيَحْرَمَةَ وَجُودِكَ الْمُبَارَكِ وَأَجْدَادِكَ الطَّاهِرِينَ، أَتُوسَلُ إِلَيْكَ وَأَرْفَعُ نَذْرِي، فَتَدْخُلَ لِحَلِّ مُشْكَلَتِي..."

(الوثائق القانونية والقضائية والوثائق التعبدية والطقسية في العصر القاجاري، ٢٠١٧م، ص ٢١٢).

"في بعض الحالات، كان الشخص المريض يُربط (يُجعل دخيلاً) بقبور الأئمة بهدف الشفاء. يذكر صهر عميد الملك، ابن الأمير أرسلان خان، خال ناصر الدين شاه، في رحلته إلى العتبات المقدسة ما يلي:

«... وصل خبر بأن صبيّاً يبلغ من العمر اثني عشر عاماً، كان أعرج اليد وأبكم... قد جعل دخيلاً، فعافاه أمير المؤمنين، فزقوا ملبسه...» (خمس رحلات أو

السفر إلى إقليم العشق، ١٣٩٣ش، ص ١١٠؛ أديب الملك، ١٣٦٤ش، صص ٢٠٥-٢٠٦).

علاوة على ذلك، كان الأفراد أحياناً يتوسلون إلى قبور الأئمة (يجعلون

أنفسهم دخيلاً) لإنقاذ حياتهم:

«... وحسب ما رواه السيد رضا، بخصوص الرجل البكاشي، فإنه كان شخصاً إمامياً ثلاثياً (مؤمناً بثلاثة أئمة)، ثم أصبح إمامياً اثني عشرياً، فعلم أقاربه بذلك، فكبروا يده، وكانوا يريدون قتله. ففرّ وأتى إلى النجف، فقيل له: إذا فتح الإمام يدك، فلن نفعل لك شيئاً، وإلا فإننا سنقتلك في أي وقت. فتوسلتُ أنا أيضاً، فكفَّ الإمام يدي...» (خمس رحلات أو السفر إلى إقليم العشق، ١٣٩٣ ش، ص ١١٥).

كان ربط الدخيل يتم أحياناً من خلال الأقفال التي كانت تُثبت على الأضرحة الشريفة للأئمة والأولياء وعلى السقاخانات (أماكن توزيع الماء)، وهي ممارسة لا تزال شائعة حتى يومنا هذا. أشارت مؤنس الدولة إلى الأقفال التي كانت النساء يقدمنها للزائرات المتجهات إلى كربلاء ليقمن بتثبيتها على الضريح بالنيابة عنهن:

«أحضرت معظم النساء أقفالاً ومفاتيح وأعطوها للسيدات الزائرات ليقمن بقفل الضريح المطهر ثم يرجعن المفتاح. كان المقصود هو أن تُحضر المفتاح ويطلب الإمام عليه السلام صاحب المفتاح لكي يذهب بنفسه إلى كربلاء ويفك القفل» (مذكرات مؤنس الدولة، ١٣٨٠ ش، ص ١٢٢).

٤-٢. الدخيل إلى الأشجار

في العهد القاجاري، كان الناس في جميع أنحاء إيران يتوسلون إلى أشجار مختلفة طلباً لتحقيق أمنياتهم (يطلقون عليها "الدخيل"). حتى القبور التي حُفرت في الجبال كانت تُعتبر من الأماكن المقدسة والمباركة في نظر الناس. تحدث تشيريكوف عن شجرة رمان بالقرب من قبر في جبل كان الناس يلجأون إليها طلباً لشفاء الأمراض ومختلف النذور والتضرعات، حيث كانوا يعلقون قطعاً من ملابسهم وأقمشتهم بها (تشيريكوف، ١٣٥٨ ش، ص ١٩). ومن بين الأشجار التي تم التوسل بها بشكل مقدس، نجد أنواعاً مثل الرمان، والبلوط، والدُّب،

والسدر.

في كتاب رحلات هولستر، ذكرت شجرة الدُّلب بالقرب من أصفهان كان المارّة يتوسلون بها. ووفقاً له، إذا لم يكن المارّة يملكون قطعة قماش للتوسل بها، فإنهم كانوا عادةً ما يمزقون قطعة من قميصهم أو ملابسهم ويعلقونها على أغصان شجرة الدُّلب طلباً لشفاء مرضاهم وأحبائهم، مع تقديم النذور وتمنيات الشفاء والعافية (هولستر، ١٣٥٥ش، ص ٨٤). وفي مكان آخر من عمله، اعتبر هولستر التوسل بالأشجار خرافة، وقال عن هذا الاعتقاد:

«... تُجَبَّل وتُحطَى بالاحترام الأشجار القديمة جداً التي لا تُقَلَّم أغصانها، شريطة أن تكون قد نمت جيداً، ويتم تزيينها بالحلي والملابس. إن هذا الأمر هو تقليدٌ أكثر شيوعاً بين الفلاحين الذين يأتون إلى المدينة والأشخاص الذين يرغبون في تحقيق أمنياتهم، وهو أحد آثار المعتقدات والخرافات القديمة» (هولستر، ١٣٥٥ش، ص ١٦).

وقد أشار ميريت هاكس إلى عقيدة التوسل بالأشجار بين الناس وكتب عن قدسية هذه الأشجار:

«بالقرب من أو في محيط العديد من قرى إيران، توجد غالباً شجرة مقدسة، ويعلق عليها الناس قطعاً من القماش والفوانيس (القناديل). تتجمع الجنيات عند أقدام هذه الأشجار المقدسة، أو ربما مرّ بها الأئمة الاثنا عشر في وقت ما. وبشكل عام، فإن التأثير الإيجابي والمحتمل للجنيات في الخير واسع وأساسي. غالباً ما تكون هذه الشجرة من نوع الأثل، ولكن من الممكن أن تكون أيضاً من نوع الأرجوان، وعادةً ما يكون من المستحيل كسرها دون أن يواجه الكاسر عاقبة وخيمة (هاكس، ١٣٦٨ش، ص ١١٨).

وفي موضع آخر يقول:

«عندما أصبح الجو بارداً بما فيه الكفاية، انطلقتُ أنا وشخص إيراني في الصحراء لزيارة (بئر الجنيات) و(شجرة الجنيات) التي تقع عند سفح صخرة

عالية. على مدى أميال من الطريق في جميع أنحاء الصحراء، كانت شجرة الدُّلب هذه هي الشجرة الوحيدة التي لفتت نظري، وليس من المستغرب أن يكون هناك ممر وعمر يؤدي إليها من كل قرية، لكي يذهب القرويون إليها في أيام العطل ليتأملوا في الماء الصافي، ويعلقوا قطعة قماش قديمة على الشجرة، ويتذكروا الجنيات بالألا يهملوا مساعدتهم وحل مشاكلهم» (هاكس، ١٣٦٨ش، صص ١٧٢-١٧٣).

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك شجرة دُّلب بسبب حادثة ما في ساحة إمامزاده يحيى بطهران، ولكن الناس ظلوا يعتقدون بها ويتوسلون إليها. كانوا يغرسون مسامير في الشجرة أو يعلقون عليها قطعاً من القماش وما شابه ذلك عند طلب حوائجهم (Masse, 1983, pp. 219-220).

لم يقتصر الدخيل على الطبقات الدنيا والمستويات الدنيا من المجتمع؛ بل كان جميع طبقات المجتمع يؤمنون بهذه الممارسة. كان هذا الاعتقاد موجوداً أيضاً بين الطبقات العليا والأشراف. ووفقاً لمعير الممالك، كانت هناك شجرة دُّلب عتيقة في الحريم في عهد ناصر الدين شاه، عُرفت باسم "چنار عباس علي". كان يُمد حول هذه الشجرة سياج أخضر اللون، وكانت نساء الحريم يشعلن الشموع حول الشجرة في ليالي الجمعة ويتوسلن إليها. (معير الممالك، بدون تاريخ، ص ١٦). وفي البقعة المقدسة "مَيْلِك" في منطقة الموت بقزوين، كانت هناك شجرة مقدسة تُدعى "تادانة"، وكان السكان المحليون يسمونها "الإمام دار" أي شجرة الإمام. كانت النساء عندما يُصاب أطفالهن بالحمى، يعقدن قطعة قماش أو خيطاً بهذه الشجرة لقطع حمى أطفالهن (بهرامي، ١٣٨٩ش، ص ٣٥). وفي مقبرة بمنطقة دوان في كازرون، كانت هناك شجرة زيتون يعتقد الناس أنها شجرة جنة، ولذلك كانوا يتوسلون بها عند المرض (بهرامي، ١٣٨٩ش، ص ٣٥). وفي منطقة لرستان تقريباً، كانت النساء، عند هياج أطفالهن، يعقدن قطعة من قيص الطفل بشجرة زعرور قريبة من مقبرة أحد الأولياء لتهدئة الطفل (خرم آبادي وآخرون، ١٣٥٨ش،

١٠٣
التلخيص والخصائص الإسلامية
رؤية معاصرة

الدخيل في العصر النقاباري: «السيارات والوظائف»

ص ٢٣٤). وقد ذكر ناصر الدين شاه في رحلته شجرة في حي كالبوش تقع على طريق طهران - خراسان؛ ووفقاً له، كانت هذه الشجرة مزاراً للناس. كانوا يتوسلون إلى الشجرة ويقدمون نذورهم إليها (ناصر الدين شاه، ١٣٦٦ش، ص ٣٦). وبذلك، وجد الاعتقاد بالتوسل طلباً للخلاص من المشاكل والأمراض والكوارث بين جميع طبقات المجتمع، بما في ذلك العائلة المالكة والأشراف وعامة الناس. وفي خضم ذلك، كانت الأشجار، كأحد أهم العناصر التي كان يتم التوسل بها، عنصراً قادراً على جذب انتباه الناس في أي مكان والتمسك بها في أوقات الكوارث والمشاكل.

٤-٣. الدخيل إلى السقاخانات (أكشاك توزيع الماء)

لم يقتصر الدخيل على الأشجار؛ بل كانت أماكن أخرى مثل مراقد الأولياء والسقاخانات محط اهتمام في هذا المجال. كانت السقاخانات على وجه الخصوص أحد الأماكن الرئيسية للنذر، والطلب، والتوسل وطلب الأمنيات خلال العصر القاجاري. تتكون هذه المباني من غرفة صغيرة في جزء من جدار الشوارع، وتتميز بتجويف (تحدب) ويغطي جزءاً منها نافذة شبكية صغيرة. وفي هذه النافذة، كان يتم وضع مصدر مياه لاستخدامه من قبل الناس، وكان هناك كوب أو قدهج بجانب مصدر المياه ليشرّب منه العطاش. في البداية، كانت السقاخانات تبنى بهدف كسب الثواب وإرواء العطاش والمارة في إطار القيام بالأعمال الخيرية والمنفعة العامة (نجمي، ١٣٦٢ش، صص ٣٨٩-٣٩٠).

إن وقوع إيران في منطقة جافة قليلة الأمطار وصيفها الحار جداً هو أحد الأسباب الرئيسية لتشكيل السقاخانات في المدن والمناطق المختلفة في إيران على مر تاريخ هذه البلاد. من ناحية أخرى، كانت واقعة كربلاء وعطش الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عاملاً آخر في إنشاء السقاخانات. وبما أن السقاخانات كانت تُبنى لإرواء العطاش، فقد أصبحت تذكيراً بواقعة كربلاء وعطش أهل

البيت عليه السلام، واكتسبت طابعاً دينياً ومقدساً في نظر الناس. نظراً لسيطرة الثقافة الشيعية على إيران وإقامة مراسم العزاء ومجالس الرثاء للإمام الحسين عليه السلام وأحداث كربلاء باستمرار، كانت الطائفة الشيعية الإيرانية تعيش دائماً في حزن المصائب التي حلت بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء. وفي خضم ذلك، فإن التأكيد الخاص من قبل قراء المراثي على عطش أهل البيت ومنع الماء عنهم في حرارة كربلاء الحارقة، وشهادة أبي الفضل العباس عليه السلام في سبيل توفير الماء لأهل البيت والأطفال في الحرم، أدى إلى إعطاء أهمية قصوى للماء وسقاية العطاشي من منظور المجتمع الشيعي الإيراني. ولهذا السبب، اكتسب تقديم الماء المجاني للعطاشي أهمية خاصة بين الناس. كتب ناصر نجفي واصفاً سقاخانات طهران ما يلي:

"في طهران القديمة، كانوا يبنون السقاخانات لأجل أعمال الثواب في الغالب، وكان بناؤها يتم بوضع أوعية حجرية كبيرة أو "دوستكام" [أوعية نحاسية ذات قاعدة] كبيرة في دكان نصف باب، ويضعون حولها الكؤوس أو الصحن التي كانت عادة موصولة بسلسلة، وكان هذا الإجراء يحدث غالباً في أيام العزاء أو مجالس رثاء سيد الشهداء وذكر شهداء كربلاء... وفي بعض السقاخانات التي كانت أعمالها وإعداداتها أكثر تفصيلاً، كانوا يعلقون على الحائط عدداً من المشاهد المقدسة مثل: العباس عليه السلام وعلي الأكبر عليه السلام، وكان لكل سقاخانة عادة متولي ومدير خاص بها. وكان بعض السقاخانات يبنونها للناس الخيريون بهدف مساعدة العطاشي، خاصة في فصل الصيف حيث كانوا يضعون فيها قطع الثلج أيضاً" (نجفي، ١٣٦٢ش، صص ٣٨٩-٣٩٠).

إما أن السقاخانات كانت تُقام بشكل دائم على مدار العام، أو كانت تُقام في أوقات محددة من السنة، خاصة خلال فترة عزاء الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرم، ثم تُزال بعد انتهاء فترة العزاء. في البداية، ولتحديد موقع السقاخانة للهارة في الليل، كانت تُشعل شموع حول السقاخانات؛ ولكن تدريجياً مع مرور

الزمن، نُسيَ الهدف الأولي من إشعال الشموع، وأصبحت الشموع والسقاخانات مُباركة ومُقدَّسة، وبدأ الناس بإشعال الشموع حول السقاخانات من أجل تلبية أمنياتهم وحل مشاكلهم؛ "في الليل، ولكي يرى العطاشي بشكل أفضل، كانوا يشعلون شموعاً في حافظات بجانب مكان الماء، وبعد ذلك أصبح هذا العمل بمثابة مقدمة لأولئك الذين لديهم نذور وحاجات، فكانوا يضعون ويشعلون الشموع في سقاخانات طهران القديمة كل ليلة جمعة" (نجمي، ١٣٦٢ش، ص ٣٨٩).

وهكذا، بالرغم من أن السقاخان قد أنشئت في الأساس لأغراض دينية وبهدف إرواء العطاشي، إلا أنها اكتسبت قدسية تدريجياً. كانت النساء يلجأن إلى نوافذ السقاخانات عندما يواجهن أنواعاً مختلفة من المتاعب والمشاكل. فبينما كان يُستخدم عادةً قطعة قماش أو خيط لـ"الدخيل" (ربط النذر) بالأشجار، كانت تُستخدم أنواع مختلفة من الأشياء لـ"الدخيل" بالسقاخانات، مثل الشموع، والأقفال، والسلاسل، والمرابا، واليد، والكف، والعين، والنجمات المعدنية، بالإضافة إلى الأقمشة، والخيوط، والحبال، والمناديل. من خلال ربط هذه الأجسام كـ"دخيل" (نذر)، والذي كان في الواقع توسلاً إلى الله، كانوا يعتقدون عهداً مع الله بأن يتصدقوا في سبيل الله إذا حلت مشاكلهم. فعندما يربط الناس قطعة قماش أو قفلاً أو أشياء من هذا القبيل بالسقاخانة، فإنهم في الواقع يتوسلون إلى صاحب السقاخانة الأصلي، أي الإمام الحسين وأبي الفضل العباس عليهما السلام، ويجعلونهما وسيطاً بينهم وبين الله لكي ينالوا مرادهم. بالإضافة إلى ذلك، كان يتم أحياناً ربط الشخص المريض نفسه بالسقاخانة من أجل الشفاء والصحة. وللقيام بذلك، كان المريض يُربط بالسقاخانة باستخدام سلسلة أو حبل وقطعة قماش، ولا يتم فك هذا الربط حتى يشفى. وعادةً ما كان الاعتقاد سائداً بأن المريض سيُشفى بهذه الطريقة، وأن السلسلة أو عقدة القماش والحبل ستفتح تلقائياً، أو أن الشخص المريض سيفكها بنفسه بعد التعافي ويغادر. وفيما

يخص المرضى الذين سُفُوا، كانت تنتشر قصص متنوعة شفهيًا بين الناس، وهذا الأمر كان فعالاً في استمرار هذا الاعتقاد (شهري، ١٣٦٨ش، ج ٥، صص ١١٢-١١٣؛ أطياي، ١٣٨٣ش، صص ٥٨-٥٩).

وفقاً لعبد الله مستوفي، كانت هناك سقاخانات في معظم أحياء مدينة طهران وتحظى باحترام كبير وتلقى الحماية والرعاية من سكان الحي. من ناحية أخرى، وبسبب أهميتها وقديستها لدى الناس، تحولت السقاخانات تدريجياً إلى أماكن لل عزاء على الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرم:

"إذا كان هذا المكان المقدس يقع عند تقاطع طرق أو في ساحة صغيرة، ولو كان من الممكن تهيئة المكان للطعم الصدور في ليالي أيام الحداد والجمعة بالقرب منه، لكان ذلك نور على نور، لأن السقاخانة ستشهر وتصبح معلماً للحي... ولكن شهرة هذا المكان المقدس لا تتجاوز الحي أبداً؛ لأن الأزقة والأحياء الأخرى في المدينة لديها أيضاً سقاخاناتها ومعلمها الخاصة. وفي كل مدينة طهران كانت هناك سقاخانة واحدة فقط اكتسبت شهرة على مستوى المدينة بأكملها بسبب قدمها وزخارف بنائها ورعاية الخدم أو القائمين عليها في الحي، وكان الناس يأتون إليها بالندور والتضرعات من جميع أنحاء المدينة، وهي سقاخانة نوروزخان" (مستوفي، ١٣٦٠ش، ص ٦١٧).

يكتب أوجين أوبن عن إحدى سقاخانات طهران والمعتقدات الدينية للناس تجاه هذا المكان ما يلي:

"في بازار طهران، توجد سقاخانة تُدعى نوروزخان، وقد رُسم على بوابتها مشهد استشهاد [السيد] العباس، وداخل السقاخانة مليء بجميع أنواع الندور والتضرعات والشموع والمصابيح" (أوبن، ١٣٦٢ش، ص ١٨١).

في هذه الأثناء، كانت سقاخانة الشيخ هادي إحدى أهم السقاخانات في طهران خلال العصر القاجاري. إن الاعتقاد الشديد للناس بالسقاخانات

وقدرتها على إحداث المعجزات أدى إلى وقوع حادثة مهمة في نهاية الحقبة القاجارية. فانتشار خبر معجزة في سقاخانة تقع عند تقاطع الشيخ هادي في المدينة جعل أحد أعضاء السفارة الأمريكية في طهران يذهب إلى ذلك المكان ويقوم بالتقاط صورة، لكن هذا التصرف أغضب الناس وأدى إلى مقتله (مستوفي، ١٣٦٠ش، صص ٦١٧-٦٢٣).

وهكذا، فإن الاعتقاد بـ"الدخيل" (ربط النذر) بالسقاخانة كان يجلب معه أحياناً مصائب ومشاكل من هذا القبيل.

٥. النتيجة

"الدخيل" (ربط النذر) هو أحد أشكال الممارسات الخرافية التي كانت شائعة في مجتمع العصر القاجاري. ولهذا العمل سابقة تاريخية طويلة في تاريخ إيران الاجتماعي والثقافي. حتى في صدر الإسلام، كانت هناك أدلة على اعتقاد المسلمين بهذا الفعل، والذي نهاهم عنه النبي ﷺ. كان عمل "الدخيل" يرتبط بالاعتقاد بقدسية المكان، أو الشيء، أو الشجرة التي يتم الربط بها. وفي الواقع، كان هذا الأمر له جانب ديني، وكان الهدف منه هو اتخاذ وسيط بين العبد والمعبود. وبشكل عام، كان "الدخيل" متجذراً في مخاوف الناس، وهواجسهم، وحيرتهم، وأميتهم، وجهلهم. فقد لجأوا في تلك الفترة، بسبب أميتهم، واعتقادهم بالجبرية والقدرية، والضغط الاجتماعي، والخوف، وانعدام الأمن والعدالة الاجتماعية (الناجم إلى حد كبير عن استبداد الجهاز الحاكم)، إلى الممارسات الخرافية ومنها "الدخيل". كان الناس في أوقات الضيق، والعجز الناتج عن المرض، والكوارث الطبيعية، والفقر، والمشاكل الأخرى، يلجأون إلى الخرافات على أمل إيجاد حل وإنقاذ أنفسهم، أو تحقيق أمنياتهم. وفي هذا السياق، كان الناس، عند المرض، أو عدم الإنجاب، أو تأخر زواج الفتيات، وما إلى ذلك، يتوسلون بأنواع من الأجسام طلباً للمساعدة والمعونة من الله،

وكانوا يقصدون من خلال "الدخيل" (وهو في الواقع مفهوم التوسل) أن يتخذوا تلك الأجسام وسيطاً بينهم وبين الله، وينالوا بذلك الفيض ويحققوا رغباتهم وأمنياتهم. وأخيراً، على الرغم من أن "الدخيل" يُعتبر عملاً دينياً، إلا أنه لا يحتل مكاناً في المبادئ الدينية للمذهب الشيعي ولا يؤيده. ومع ذلك، ونظراً لأن هذا العمل يتم بهدف التوسل إلى الله، فإنه لم يُمنع بالكامل.

المصادر

- آخوندزاده، ميرزا فتح علي. (بدون تاريخ). مكتوبات. بدون مكان: بدون ناشر.
- آخوندزاده، ميرزا فتح علي. (٢٥٣٧). مقالات فلسفي. ج ٢. تبريز: بدون ناشر.
- آدميت، فريدون. (١٣٦٩ش). اندیشه‌های ميرزا فتح علي آخوندزاده. طهران: خوارزمي.
- آدميت، فريدون. (١٣٥٦ش). اندیشه ترقی و حكومت قانون عصر سپهسالار. طهران: خوارزمي.
- الآوسي، محمود بن عبد الله. (١٤١٥ق). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أديب الملك، عبد العلي بن علي. (١٣٦٤ش). سفرنامه اديب الملك به عتبات (دليل الزايرين). (تصحیح: مسعود گلزاری). بدون مكان: دادجو.
- اسدآبادی، سيد جمال. (١٣٧٩ش). مجموعه رسائل و مقالات. إعداد: هادي خسروشاهی، طهران: بدون ناشر.
- اسديان خرم آبادی، محمد وآخرون. (١٣٥٨ش). باورها و دانسته‌ها در لرستان و ایلام. طهران: وزارة الثقافة.
- جعفریان، رسول و جليليان، رسول. (٢٠١٧م) اسناد حقوقی و قضائی و اسناد عبادی و آئینی دوره قاجار. تحقيق وتدوين: هاشم رجبزاده. طوكيو: مؤسسة آسيا للدراسات المتقدمة.
- اطيبي، اعظم. (١٣٨٣ش). «سقاخانه‌های اصفهان». مجلة فرهنگ مردم، السنة الثالثة، العدد ١٠.
- اوين، اوژن. (١٣٦٢ش). ايران امروز. (ترجمة: علي اصغر سعیدی). طهران: زوار.

- بروگش، هینریش. (۱۳۶۷ش). سفری به دربار سلطان صاحبقران. (ترجمه: حسین کردیچه، ج ۲). طهران: مرکز.
- بهرامی، فرشته. (۱۳۸۹ش). نظر کرده. طهران: آموت.
- سنگری، محمدرضا. (۱۳۹۳ش). پنج سفرنامه یا سفر به اقلیم عشق. (۱۳۹۳ش). (تحقیق و تصحیح: سید خلیل طاووسی). قم: مجمع ذخائر اسلامی.
- پولاک، یاکوب ادوارد. (۱۳۶۸ش). سفرنامه پولاک (ایران و ایرانیان). (ترجمه: کیکاووس جهانداری). طهران: خوارزمی.
- جاهودا، گوستاف. (۱۳۷۱ش). روانشناسی خرافات. (ترجمه: محمد تقی براهنی). طهران: البرز.
- جوادی یگانه، محمد رضا؛ زادقناد، سعیده. (۱۳۹۴ش). ایرانیان در زمانه پادشاهی. طهران: وزارة الداخلية.
- چریکف. (۱۳۵۸ش). سیاحتنامه مسیو چریکف. (ترجمه: آبکار مسیحی، إعداد: علی اصغر عمران). طهران: امیر کبیر.
- دهخدا، علی اکبر وآخرون. (۱۳۷۱ش). لغتنامه. طهران: جامعة طهران.
- دیولافوا، مادام ژان. (۱۳۳۲ش). سفرنامه مادام ژان دیولافوا. (ترجمه: علی محمد فرهوشی، إعداد: بهرام فرهوشی). طهران: جامعة طهران.
- ذاکرزاده، امیر حسین. (۱۳۷۳ش). سرگذشت طهران. طهران: قلم.
- سبحانی، جعفر وآخرون. (۱۳۹۳ش). مجموعه مقالات تبرک. طهران: مشعر.
- سرن، کارلا. (۱۳۶۳ش). مردم و دیدنیهای ایران: سفرنامه کارلا سرن. (ترجمه: سمعی، غلام رضا). طهران: نشر نو.
- شهری، جعفر. (۱۳۶۸ش). تاریخ اجتماعی طهران در قرن سیزدهم. (ج ۵). طهران: رسا.

- شهری، جعفر. (۱۳۸۳ش). طهران قدیم. طهران: معین.
- طالبوف، عبدالرحیم. (۱۳۵۶ش). کتاب احمد. طهران: شبگیر.
- عاملي رضائي، مریم. (۱۳۸۹ش). سفر دانه به گل؛ سیر تحول جایگاه زن در نثر دوره قاجار. طهران: تاریخ ایران.
- علي زاده بیرجندی. (۱۳۸۷ش). ناصر الدین شاه و گفتمان تجدد. (الأستاذ المشرف: محمد امیر شیخ نوریش). طهران: كلية الآداب واللغات والتاریخ في جامعة الزهراء.
- قیصری، نورا. (۱۳۸۸ش). نخبگان و تحول فرهنگ سیاسی در ایران دوره قاجار. طهران: مرکز وثائق الثورة الإسلامية.
- کرماني، ناظم الاسلام. (۱۳۵۷ش). تاریخ بیداري ایرانیان. إعداد: علي أكبر سیرجانی، طهران: مؤسسة الثقافة الإيرانية.
- لهسايي زاده، عبد العلي. (۱۳۸۰ش). عبدالنبي سلامي؛ تاريخ و فرهنگ مردم دوان. شیراز: نوید شیراز.
- مؤنس الدوله. (۱۳۸۰ش). خاطرات مؤنس الدوله نديمه حرمسرای ناصرالدین شاه. (إعداد: سیروس سعدوندیان). طهران: زرین.
- مستوفي، عبد الله. (۱۳۶۰ش). شرح زندگانی من یا تاریخ اجتماعی و اداری دوران قاجاریه. طهران: زوار.
- مصطفوي، السيد محمدتقي. (۱۳۶۱ش). آثار تاریخ طهران. ج ۱، طهران: جمعية الآثار الوطنية.
- معير الممالك، دوست علي. (بدون تاریخ). زندگی خصوصی ناصرالدین شاه. طهران: مكتبة علي اكبر علمي.
- موریر، جیمز. (۱۳۷۸ش). سرگذشت حاجي بابا اصفهاني. (ترجمة: میرزا حبيب اصفهاني). طهران: الست فردا.

ناصر الدين شاه. (۱۳۶۶ش). سفرنامه سفر به خراسان. (إعداد: ايرج افشار).
طهران: بدون ناشر.

نجم آبادي، شيخ هادي. (۱۳۳۶ش). تحرير العقلا. (إعداد: مرتضى نجم آبادي).
طهران: وزارت الإرشاد الإسلامي.

نجي، ناصر. (۱۳۶۲ش). طهران دار الخلافه در يكصد سال پيش. طهران:
ارغوان.

هاكس، مريت. (۱۳۶۸ش). ايران؛ افسانه و واقعيّت. (ترجمة: محمد حسين
نظري نژاد، محمد تقى اكبري و احمد ثماي). مشهد: العتبة الرضوية المقدسة.

هدايي، السيد جواد. (۱۳۸۱ش). تاريخ پزشکی معاصر ايران (از تاسيس دارالفنون
تا انقلاب اسلامي). طهران: جامعة العلوم الطبية والخدمات الصحية والعلاجية
الإيرانية.

هولستر، ارنست. (۱۳۵۵ش). ايران در يكصد و سيزده سال پيش با شرح و
تصوير. (إعداد و ترجمة: محمد عاصمي). طهران: وزارة الثقافة.

بيت، تشارلز ادوارد. (۱۳۶۵ش). سفرنامه خراسان و سيستان. (ترجمة: قدرت الله
روشني زعفراني و مهرداد رهبري) طهران: يزدان.

Masse, H.(1938). *croyances et coutmes persanes*. paris.